

الحضاري المفهوم والمنظور في العلوم الاجتماعية ولدى نماذج فكرية معاصرة

المقدمة

التعريف بالكتاب:

هذا الكتاب يضم أعمال حلقة نقاشية حول "مفهوم الحضاري ومعالم منظور جديد في العلوم السياسية والاجتماعية" عقدها مركز الحضارة للدراسات السياسية بالقاهرة بالتعاون مع مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة يومي 24-25 أكتوبر 2010، وشارك فيها عدد كبير من المفكرين والأكاديميين وشباب الباحثين. وهو حلقة من حلقات متشابكة متساندة من محاولات السعي لبلورة أسس ومبادئ المنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية و تفعيله وتشغيله لجني ثماره فكريًا ونظرًا ومنهجًا.

وجاءت أعمال هذه الحلقة في حينها استكمالاً لجهود التأصيل للدراسات الحضارية التي سبق أن دشنتها مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات ومركز الحضارة للدراسات السياسية، وتمهيداً لإعداد دراسات معمقة حول مفهوم الحضاري ومنظوره في العلوم السياسية بخاصة، جاءت هذه الحلقة النقاشية في صورة "عصف ذهني واسع" من أجل الكشف عن خريطة إدراكاتنا لمفهوم "الحضاري" واستعمالاته ضمن الدوائر العلمية والحوارية المختلفة، ومدى إمكان الوصول إلى توافق عام بيننا على مصفوفة دلالات واستعمالات له تحقق التواصل الفعال، وترد الاختلافات إلى أنصبتها وسياقها. كما تهدف إلى الإطلاع على قضية "المنظور" في العلوم الاجتماعية وعلم السياسة، من مدخل مقارن يستوعب حالة مراجعة هذه العلوم في العالم، ومحاولات الإسهام في تطوير هذه المراجعات من رؤية عربية وإسلامية.

حيث يدور جدل كبير حول "الحضاري" صفةً ومعنى، ويتراوح الأمر بين مختزل لهذا المفهوم بحيث يضيق ليقصر على الشأن الديني وبين من قد يوسع هذا المفهوم والوصف بحيث يشمل كل شيء، خاصة أن هذا الوصف استخدم بشكل يتسم بالسيولة ضمن مفاهيم أخرى (التحديات الحضارية، المقاومة الحضارية، الشهود الحضاري، العمران الحضاري... إلخ)، ومن هنا كان من المهم تحرير هذا المفهوم وتحديدته بجميع امتداداته ونفي الدلالات المغلوطة عنه وحوله.

فمثلاً يرى البعض أن الحضاري ما هو إلا غطاء للمواجهة يستخدمه الغرب في صراعه معنا، أو تحويل النظر عن السياسي، أو قلب الموازين في الرؤية، كقولهم أن استخدام القوة والعنف مركبٌ لدينا في العقل والسلوك الحضاري. أيضاً يستخدمه البعض على أنه نوع من الاستدراج لمن يتحدثون عن دينية الصراع.

فالتفسير الحضاري ليس تفسيراً دينياً، ولا يعني كذلك تفسير الصراعات تفسيراً دينياً، هذا خطأ قد يقع فيه كثيرون في هذا الإطار. وبالمثل المنظور الحضاري ليس منظورا دينيا، وليس إسلاميا بالضرورة فقط.

ومن الإشكالات التي يثيرها مفهوم "الحضاري":

- غموض المفهوم
- العلاقة بين السياسي والحضاري والديني
- التداخل بين الحضاري (الذي يشمل الثقافي والديني) باعتباره متغيراً مستقلاً دافعاً ومحركاً في ذاته ومفسراً للعلاقات والتفاعلات، وبين الحضاري باعتباره إطاراً وبيئة تشكل الوعي والسلوك وأداة توظف في خدمة "السياسي الاستراتيجي".

- الفصل بين السياسي والقيمي (موقع الأبعاد القيمية من الحضاري).

يضم الكتاب دراسات لباحثين متمرسين من داخل المنظور وخارجه، ومن مؤسسيه ونقاده وخصومه. وهذا حال كل جهد فكري جاد، يوجد نتاجه. فمن سمات هذا المنظور الإنفتاح على الداخل والخارج من توجهات فكرية متنوعة، فلا يخلو عمل من أعمال تناقش المنظور وتطبيقاته أو مؤتمر أو ندوة أو كتاب من العديد من الاتجاهات الفكرية المتنوعة دون حجر أو إقصاء.

وعلى جانب آخر، يشتمل هذا العمل الفكري على أعمال من رواد ومؤسسي المنظور الحضاري وهم في القلب من المنظور بذلوا زبدة أعمارهم ينسجون أسس المنظور، وعلى قراءات من هم على عتباته لأعمال رواده يجمع بين الاثنين: من في القلب ومن يتلمس خطاه، الثقة الناقدة والشك الودود.

الثقة الناقدة تستند لرصيد من العمل تبني عليه فكرًا وفعلاً، تدمد لمجالات جديدة وتختبره في قضايا متنوعة وتعيد النظر لتنميته وتعمقه. والشك الودود يحرص على مساءلة رواده ونقاده ليتبين على بصيرة الإنجازات والتحديات والجوانب التي لا بد من استكمالها.

منظور هذا حاله لا يتهيب وجهات النظر المختلفة حتى وإن اتسمت بلغة خشبية تردد محفظاتها التي تحسبها الحكمة المقطرة أو التفرد المدعى السابق والتجاوز. كما أن المدح الاستظهار لا يغريها ولا يحدعها وهما يبعغان الظهور بسمت التمكن من أسس المنظور و ادعاء أن كلماتهم تسع هذا المنظور وأن فكرها أوسع منه.

وإذا كانت موانع إجرائية قد حالت دون صدور أعمال هذا الكتاب في وقت أسبق، فإن ذلك مرجعه الانشغال - عقب اندلاع الثورة المصرية- بالتداعيات والدلالات الفكرية والمنهجية والحركية بالطبع على المجتمع والدولة في مصر، بل وعلى الدوائر الأكاديمية التي طالما نظرت للإصلاح والتغيير، ومن هذه الدوائر بالطبع الجماعة العلمية للعلوم السياسية من منظور حضاري. فلقد بدت الثورة لبعض منهم كنموذج حضاري تعكس خصائصه وملامحه "منظورا حضاريا للفعل الثوري"، وازدادت الحاجة لاختبار وتفعيل هذا المنظور على واقع يتغير بسرعة. وفي حين تزايد الاستخدام العشوائي لمفهوم "الحضاري"، وتزايدت الحاجة لإعادة طرح هذا المفهوم والمنظور.

ومع تصاعد نغمة الثورة المضادة والانقلاب على هذا النموذج من الثورة والذي كان مكمنًا ومناطًا لقوتها وإبداعها، تزايدت الحاجة لإعادة الطرح على أكثر من مستوى وبأكثر من وسيلة، وكان من بينها الدفع بهذا الكتاب للنشر -بعد تأخر سنتين- ضمن خطة أشمل لنشر وإعادة نشر أعمال المركز المعرفية والفكرية والنظرية التي تراكمت عبر أكثر من (15) عاما. فلقد تأكد مع اندلاع الثورة ثم الانقلاب عليها أن الأزمة معرفية وفكرية ثقافية بالأساس، مهما تحدثنا أو تناقشنا حول "القوة العسكرية" أو "القوة الأمنية" كمحدد لمصير هذه الثورة.

وقد أخذ هذا المنظور على عاتقه مهمتان كبيرتان: حراسة أصوله المعرفية باعتباره حفظ بقاء، وتحديد فعاليته المنهجية بوصفه حفظ نماء. وعبر ما يقرب من ربع القرن تم ذلك من خلال أعمال مؤسسية جماعية (المشروعات البحثية، المؤتمرات، والندوات، الرسائل العلمية، الأنشطة الطلابية... والمراكز البحثية)⁽¹⁾. ترافق مع ذلك جهد حثيث

(1) لمزيد من التفصيل حول جهود مركزي الحضارة، والدراسات الحضارية وحوار الثقافات في هذا الصدد انظر: د.نادية محمود مصطفى، العلاقات الدولية في الإسلام: من خبرة جماعة علمية إلى معالم منظور حضاري جديد (كلمة التحرير)، مجلة المسلم المعاصر، العدد (133/134)، 2009، ص 5 - 56.

من خلال العديد من الدورات المنهجية والتدريبية⁽²⁾ لإعداد أجيال من الباحثين الراغبين والقادرين على اكتساب الخبرة في مجال هذا المنظور.

ومقدمة كتاب د.نادية مصطفى، **قراءات في فكر أعلام الأمة**، تقديم: د.سيف الدين عبد الفتاح، القاهرة، مركز الحضارة للدراسات السياسية ودار البشير للثقافة والعلوم، سلسلة الوعي الحضاري (12)، 2014.

وانظر أيضا: د.نادية مصطفى، تقديم: د.محمد صفار، **مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات: المسار والإنجازات (خبرة عقد من الزمان: 2002 - 2012)**، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، أبريل 2012.

(²) من هذه الدورات:

- دورة "المنهجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية - حقل العلوم السياسية نموذجًا"، في الفترة (29/7 - 2/8/2000). وعملت على عرض نماذج من الخبرات في بناء منظور معرفي في الحقول المختلفة ضمن العلوم السياسية، واستعراض نماذج فكرية ذات رؤى معرفية إسلامية، وعقد ورش عمل مكثفة حول المداخل المنهجية الإسلامية وإمكانات تفعيلها (مدخل السنن، مدخل التحليل المفاهيمي، مدخل التحليل الثقافي). وأصدر المركز (2002) بالتعاون مع المعهد العالمي للفكر الإسلامي - كتابًا بأعمال هذه الدورة تحت عنوان: "دورة المنهجية الإسلامية في العلوم الاجتماعية - حقل العلوم السياسية نموذجًا".
- دورة "التعريف بمداخل العلوم النقلية والتراثية للباحث في العلوم الاجتماعية والإنسانية" (2001-2002)؛ وهدفت إلى تعريف الباحثين والطلاب في الحقول العلمية غير الشرعية بمداخل العلوم الشرعية ومفاتيحها المعرفية والمنهجية؛ وذلك من واقع محاضرات فضيلة الأستاذ الدكتور علي جمعة مستشار المعهد العالمي للفكر الإسلامي الذي تفضل بإلقائها، علاوة على محاضرات مسجلة له سابقًا. وقد أصدر المركز (2004) كتابًا بمضامين هذه الدورة التي امتدت عبر عامين، بعنوان "الطريق إلى التراث الإسلامي: مقدمات معرفية ومداخل منهجية".
- دورة التتقيف الحضاري بالتعاون مع برنامج حوار الحضارات (2006 - 2007)، وكان موضوع الدورتين الأولى والثانية:
 - "من أجل بناء الذات الحوارية والوعي الحضاري"، 4-7 / 9 / 2005.
 - "من أجل بناء الذات الحوارية والوعي الحضاري (2)"، 3-6/9/2006.
- دورة "كيف نفكر مناهجيا في الأحوال العالمية الراهنة"، في الفترة (13-24 يناير 2008). والتي انطلقت من محاولة وضع أسس منهجية علمية لفهم وتفسير الواقع العالمي الراهن، في ظل ما يمر به من تطورات متسارعة تقع أمة المسلمين في القلب منها.
- دورة "المقاصد الشرعية: تعريف وتفعيل في النشاط الاجتماعي والأهلي"، والتي عقدت بالتعاون مع الجمعية الخيرية للخدمات الثقافية والاجتماعية- في الفترة من (8-24 فبراير 2008). وذلك بهدف التعريف بالرؤية المقاصدية للشريعة وكيفية تفعيلها في المجال الاجتماعي والأهلي.
- دورة "المقاصد ومنظمات العمل المدني والأهلي .. ثقافة وتخطيط"، وعقدت في الفترة (2-8 أبريل 2008). واستهدفت بالأساس الشباب الفاعل مدنيًا والمهتم ببناء منهجية تفكير مستقيمة فعالة، استجابة لمتطلبات واحتياجات الشباب للتعرف على الرؤية المقاصدية وبيان إمكاناتها في تطوير منظماتهم المدنية والتركيز على الرسالة والرؤية الحاكمة لعمل تلك المنظمات.
- دورة عن "قراءة المفكر وعالم الأفكار" حاضر فيها الأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح، خلال الفترة (7 يوليو - 11 أغسطس 2008).
- دورة منهجية في كيفية تفعيل القيم في البحوث والدراسات الاجتماعية، بالتعاون مع مركز الدراسات المعرفية ومركز الدراسات الحضارية بالقاهرة، والمنعقدة في الفترة (6 - 11 فبراير 2010). وحاولت إلقاء الضوء على ماهية القيم وعلاقتها بالعلم والبحث العلمي، خاصة في البحوث والدراسات الاجتماعية والإنسانية. بالإضافة إلى محاولة استنباط أهم المنظومات القيمية الكامنة في المصادر البحثية في علوم مختلفة ما بين شرعية واجتماعية. وبناءً عليه محاولة تلمس بعض لآليات لتفعيل القيم مجالات معرفية ومستويات بحثية مختلفة.

وكان مشروع العلاقات الدولية في الإسلام (1986 - 1996)، ثم حولية أممي في العالم⁽³⁾ كساحة لاختبار وتفعيل المنظور، وذلك من خلال مؤسسات عديدة منها مركز الحضارة للدراسات السياسية ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة، الذي أصدر عندما كان برنامجًا لحوار الحضارات سلسلة التأصيل النظري للدراسات الحضارية⁽⁴⁾، كمؤسسات أنشأت لتفعيل المنظور وتشغيله. كل ذلك يمثل مدرسة فكرية نقدية بنائية تقوم على أساس معرفي متين منفتحة على المنجز المعرفي الإنساني، لا تشعر بالدونية أو الاستعلاء. ولقد شارك في الحلقة بمدخلات شفوية ومكتوبة نخب من أساتذة العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية، وهم: الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو سليمان رئيس المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح أستاذ النظرية السياسية والفكر السياسي الإسلامي بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، والأستاذ نبيل عبد الفتاح مدير مركز تاريخ، والأستاذ فؤاد السعيد والدكتور إبراهيم البيومي غانم الخبراء بالمركز القومي للبحوث

- دورات التنقيف الحضاري بالتعاون بين مركز الحضارة للدراسات السياسية ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات (برنامج حوار الحضارات سابقا) خلال الأعوام (2008 - 2010)، وموضوعاتها على التوالي:
 - "ثقافات متنوعة في حضارة جامعة"، 24 - 2008/8/28.
 - "ثقافات متنوعة في حضارة جامعة (ب)"، 16 - 2009/8/20.
 - "كيف نفهم الغرب؟ في خصائص الحضارة الغربية ووجوهها المتنوعة"، 13 - 2010/9/16.

⁽³⁾ صدر من هذه الحولية أحد عشر عددًا:

- العدد الأول (1998م): ركز على مسألة "الأمة والعولمة".
- العدد الثاني (1999م): ركز على "العلاقات البيئية داخل الأمة".
- العدد الثالث والرابع (2000 - 2001): عدد خاص تحت عنوان "الأمة في قرن" (صدر في موسوعة من ستة مجلدات نشرت بالتعاون مع دار الشروق الدولية بالقاهرة).
- العدد الخامس (2001-2002): جاء مركزًا الضوء على "تداعيات الحادي عشر من سبتمبر على أمة الإسلام".
- العدد السادس (مايو 2005): وركز على قضية "الحرب على العراق وتداعياتها على أرجاء الأمة الإسلامية".
- العدد السابع (2007): وركز على قضية "الإصلاح في الأمة بين الداخل والخارج".
- العدد الثامن 2008: مرصد الحالة الإسلامية 2008، وهو بمثابة تقرير استراتيجي عن العالم الإسلامي خلال العام 2008، وركز على قضية "الأمة ومشروع النهوض الحضاري".
- العدد التاسع 2009: "غزة بين الحصار والعدوان"، سلط الضوء على قضية غزة، وما تعرضت له من عدوان وحشي، وما تبعه من مواقف داخلية عربية ودولية.
- العدد العاشر 2010: اهتم بدراسة الحالة الثقافية في العالم الإسلامي من مدخل سياسي، للتعرف على التأثير المتبادل بين السياسي والثقافي.
- العدد الحادي عشر (2011/2012): عن "الثورة المصرية والتغيير الحضاري والمجتمعي".

⁽⁴⁾ ضمت سلسلة التأصيل الحضاري سبعة كتب، تحت إشراف وتحرير أ.د.نادية مصطفى وأ.د.منى أبو الفضل، صدرت عن برنامج حوار الحضارات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ودار الفكر بدمشق في 2008، وهي:

- 1- أ.د. منى أبو الفضل، د. أميمة عبود، أ.د. سليمان الخطيب، الحوار مع الغرب: آلياته - أهدافه - دوافعه.
- 2- د. رقية العلواني، الأب د.كريستيان فان نسين، أ. سمير مرقس، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية.
- 3- د. السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني.
- 4- أ. فؤاد السعيد، د. فوزي خليل، الثقافة والحضارة: مقارنة بين الفكرين الغربي والإسلامي.
- 5- د. عبد الخبير عطا محروس، د. أماني صالح، العلاقات الدولية: البعد الديني والحضاري.
- 6- د. حسن وجيه، حوار الثقافات: إدارة الأجنداث والسيناريوهات المتنازعة.
- 7- د. سيف الدين عبد الفتاح، العولمة والإسلام: رؤيتان للعالم.

الجناينة والاجتماعية، والأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم، المؤرخ المصرى وأستاذ التاريخ ورئيس قسم التاريخ الأسبق بجامعة الزقازيق، وعضو لجنة التاريخ بالمركز القومي للترجمة، والدكتور حسن وجيه، أستاذ اللغويات والتفاوض بجامعة الأزهر، والأستاذ الدكتور حازم حسني الرئيس الأسبق لقسم تطبيقات الحاسب الآلى فى العلوم الاجتماعية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، والدكتورة أماني صالح أستاذ العلوم السياسية بجامعة مصر الدولية، الأستاذ شوقي جلال المفكر والمترجم، والدكتورة ريهام باهي مدرس العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، والدكتورة نادية مصطفى، أستاذة العلاقات الدولية والرئيس الأسبق لقسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة، والدكتورة باكينام الشرقاوي أستاذ العلوم السياسية بجامعة القاهرة.

وشارك في رئاسة الجلسات كل من أ.د. زينب الخضيرى رئيس قسم الفلسفة السياسية الأسبق بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وأ.د. علي ليلة رئيس قسم الاجتماع الأسبق بكلية الآداب بجامعة عين شمس.

محتوى الكتاب:

يتكون هذا الكتاب من تمهيد ومحورين أساسيين. ويتناول الأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح فيما جاء في الجلسة الافتتاحية "مفهوم الحضاري: المداخل، والأدوات، والإشكاليات"، فيعرض لدواعي إعادة طرح مفهوم الحضاري في الفترة الراهنة، كما يعرض لعدة محاور يمكن من خلالها دراسة مفهوم الحضاري وتفعلها، ودراسة العلاقة بين الحضاري والثقافي وبين الحضاري والإنساني، ودراسة الحضاري في إطار التنوع وأصوله، ودراسة الحضاري من وجهة نظر الحلقات الزمانية المتشابهة (الماضي والحاضر والمستقبل)، وموقع الحضاري من المجالات المختلفة، وكذلك كيفية تحويل الحضاري إلى مداخل وأدوات أكاديمية وكيفية تشغيل وتفعل هذه الأدوات.

كما يؤكد الدكتور عبد الحميد أبو سليمان في نفس الجلسة الافتتاحية على تميز الرؤية الحضارية الإسلامية على الرؤية الغربية، بما تملكه الأولى من أبعاد قيمية وإنسانية يفتقدها الغرب بمادته المفرطة ونزوعه نحو الصراع. وعلى الصعيد السياسي، فإن السياسة الإسلامية تدور حول كؤن العدل أساس الملك أما السياسة الغربية فتدور حول سياسات القوة والمصلحة الوطنية.

وفي المحور الأول من الكتاب حول مفهوم الحضاري ومعالم منظور جديد في العلوم الاجتماعية، تستعرض دراسة الأستاذ فؤاد السعيد، عن "مفهوم الحضاري في رؤى العالم"، مفهوم رؤى العالم وتطور صياغته الفلسفية، وخصائص هذه المفهوم اللصيق بالحضاري من وجهة نظر الأنثروبولوجيا والفكر الفلسفى.

وتستعرض ورقة د.حسن وجيه العلاقة بين الحضارة والثقافة، وما يربته اختلاف الحضارات من آثار على تلك العلاقة، مشيراً إلى أن المرحلة الحالية تتسم بوجود حضارة إنسانية واحدة (أو ما يسمى "أنسنة الحضارة"). وأكد وجيه على أنه لا بد أن نتناول تحدي التواصل عبر الثقافات في مشروعاتنا العلمية والبحثية، وذلك على مستويين أساسيين: مستوى فهم تضاريس الثقافة الأخرى، ومستوى تحويل أو تغيير الثقافة.

وتؤكد دراسة الدكتور قاسم عبده قاسم؛ "الحضاري في الدراسات التاريخية" أن التاريخ والحضارة مترادفان، وأن كليهما مقترن بالآخر، وركز في معظم كلمته على استكشاف معنى الحضاري في التاريخ الإسلامي وقبلة القرآن الكريم. ورأى قاسم أن التاريخ الإسلامي يعاني من القراءة الماضية له، وأنه علينا أن نعيد قراءته من منظور حضاري بصورة شاملة، وذلك لمعرفة ظواهر هذا التاريخ وفرادته.

ويناقش الأستاذ نبيل عبد الفتاح، "مفهوم الحضاري في الدراسات اللغوية والقانونية"، فأكد على سعة الخريطة الدلالية للمفهوم الذي يمتاز - كما يرى - بالعموض والسيولة والمجاز، وركز في كلمته على استعراض التجربة المصرية في نقل القوانين الأوروبية وتوطينها لاستكشاف الحضاري من خلالها.

وتناول أ.د. حازم حسني الأستاذ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية "الحضاري في منظور المعلوماتية"، مؤكداً أن هناك علاقة وثيقة بين الحضارة والتكنولوجيا، فالتكنولوجيا تؤثر بشكل واضح على الحضارة. وأشار إلى أنه ينبغي التمييز بين الحضاري والثقافي، فالحضاري له طابعه الكلي وينطلق من جملة التفاعلات بين المفردات، بينما الثقافي له طبيعة فردية. فالحضاري هو المستوى الكلي والثقافي هو المستوى الجزئي.

ثم ناقشت د. أماني صالح "المنظور الحضاري: المفهوم والمقومات والإشكاليات". فعرفت المنظور الحضاري بأنه "رؤية للاقتراب من المشكلة البحثية يركز على خصوصيتها الثقافية، مع مراعاة البيئة الثقافية والمكانية والزمانية التي تتم فيها دراسة الظاهرة، وتشكل هذه الخصوصية نتيجة مجموعة من العوامل المتعددة والخبرات الحضارية. هذه الخصوصية لا تنفي وجود المشترك الإنساني، وهذا الأخير لا يعني عدم وجود تنوع. ويقوم المنظور الحضاري بعدة وظائف كغيره من المنظورات وهي التفسير والتحليل والتنبؤ. ورغم ضخامة الإشكاليات التي يواجهها المنظور الحضاري فإن ذلك لا يعني فشله بل ضرورة استمراره".

ثم تحدث د. إبراهيم البيومي غانم، الخبير بالمركز القومي للبحوث الجنائية والاجتماعية بالقاهرة، عن "الحضاري من وجهة نظر العمل الخيري"، وركز غانم على أهمية إيجاد فروق واضحة بين المنظورين الغربي والإسلامي وذلك من خلال عدة مفاهيم كالدولة والمدنية، وأكد على أن العمل الخيري هو أصل في إدراك الإنسان المسلم ورؤيته للحياة، وربط العمل الخيري بالمقاصد الشرعية والدور التاريخي للأوقاف.

وعن المنظور الحضاري واستراتيجية الترجمة، يلاحظ أ. شوقي جلال، المفكر والمترجم، أن قضية الحضاري محل اهتمام على المستوى النظري، ولكنها غائبة عن مجال التطبيق، وأكد على أن تكون استراتيجية الترجمة جزءاً من استراتيجية أشمل للنهوض الحضاري، تتصافر فيها الترجمة والإبداع المحلي في توطين العلم والتكنولوجيا. تتضمن استراتيجية الترجمة الإجابات على عدة أسئلة من قبيل: ماذا نترجم؟ كيف نترجم؟ من يترجم؟ لمن نترجم (أي الجمهور الذي يقرأ الترجمة)؟ ومن آليات تطوير استراتيجية للترجمة: تنظيم مؤسسي للمترجمين، التخطيط المرحلي والنوعي، وضع خطة لتوفير قواميس متخصصة، العمل على توفير قاعدة معلومات خاصة بالترجمة.

وتحدثت أ.د. نادية مصطفى عن "المنظور الحضاري في الرؤية الإسلامية" وخبرة منظور حضاري في العلوم السياسية؛ حيث أكدت على تأكيد الصلة بين العلوم السياسية والعلوم الاجتماعية عند الحديث عن المنظور الحضاري ودراسته، وأهمية التمييز بين المنظورات الحضارية المختلفة والتميز بين مفهوم "الحضاري" و"المنظور الحضاري"، كما أكدت تعدد مصادر المنظور الحضاري، وأن المنظور الحضاري منظور مقارن بين حضارات متعددة وليس قاصراً على المنظور الإسلامي. وأشارت إلى وجود بعد مشترك بين العروض والأوراق التي قُدمت في الحلقة تمثل في تعبيرها عن خصوصية ثقافية.

ثم استعرضت خبرة العمل من منظور حضاري في الجماعة العلمية للعلوم السياسية، موضحة أن المنظور الحضاري منظور بيئي، مشترك بين مجالات وتخصصات علمية مختلفة، وأنه يقضي على الثنائيات الجدالية، بالإعلاء من الرابطة بين النظري/الحركي، والعلمي/الواقعي، والقيمي/المادي، والكلي/الجزئي، والتاريخ/الحاضر/المستقبل، فهو يتجاوز الثنائيات السائدة، من أجل تطوير منظور علمي حضاري في كل المجالات.

وفي تشغيل وتفعيل المنظور الحضاري، أكدت الدكتورة نادية على تعدد أبعاد دراسة المنظور الحضاري بين: مدخل الجدالات بين المنظورات المختلفة المتقابلة، ودراسة الأصول الفقهية، وإعادة بناء المفاهيم السائدة وتأسيس وتأسيس مفاهيم جديدة، وتفعيل المنهجية القيمية في دراسة الظواهر المختلفة، ودراسة النماذج الفكرية وما تقدمه من إسهام في المنظور الحضاري، وتحديد أجندة موضوعات وقضايا تعكس أولويات المنظور الحضاري، وتقديم وحدات ومستويات جديدة للتحليل.

ثم يأتي دور شباب الباحثين ليقدموا قراءاتهم في **المحور الثاني** من الكتاب حول **مفهوم الحضاري في نماذج فكرية عربية وإسلامية** لدى العديد من المفكرين المنتمين لمدارس فكرية مختلفة، سواء على صعيد مدرسة الفكر الإسلامي أو الفكر العربي. والنماذج المختارة من المفكرين تعكس تنوعاً جغرافياً بين المشرقين والمغربين العربي والإسلامي، ومذهبياً بين السنة والشيعة، وفكرياً ما بين اليسار واليمين والوسط.

بدءاً من **مدرسة الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر**؛ حيث يبدأ الباحث **محمد كمال** باستكشاف مفهوم "الحضاري"، وتلمس ملامح منظور حضاري عند اثنين من المفكرين الذين عنوا بالمسألة الحضارية فهماً ونقداً وتحريراً واستخداماً، وهما مالك بن مالك وشريعتي. حيث تتناول الورقة مفهوم الحضاري عند هذين المفكرين: تعريفهما للحضارة ورؤيتهما للحضارة الإنسانية: متعددة أم واحدة؟ وعلاقة الحضاري بالثقافي ورؤيتهما للدين والسياسي والاجتماعي والاقتصادي في المركب الحضاري والعلاقة مع الآخر والبعد الإنساني. وتناقش في الجزء الثاني ملامح منظور حضاري لدى كل من المفكرين، مبينا أن لديهما منظوراً حضارياً تتميز ملامحه بالتنوع والتكامل والموقف النقدي من التراث والغرب والقدرة على التنبؤ.

ثم تناولت الباحثة **فاطمة حافظ** دلالات وأبعاد مفهوم "الحضاري" لدى الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، أين يقع المفهوم ضمن دائرة اهتماماته المعرفية؟ وما هو تعريفه له؟ وكيف يتشابه مع غيره من المفاهيم الإسلامية؟ وما هي خصائصه المميزة؟ وما هي الجوانب التطبيقية للمفهوم لديه؟ كما تناولت علاقة مفهوم الحضاري بمفاهيم مفهوم التوحيد والاستخلاف والأمة. وبينت الخصائص البنوية للحضارة الإسلامية، واستعمالات المفهوم بين التنظير والتطبيق.

ثم حاولت الباحثة **مروة صبحي** استخلاص بعض أبعاد ودلالات مفهوم الحضاري لدى المفكر الإسلامي والمؤرخ طارق البشري؛ حيث بينت أن المستشار البشري قد تناول مفهوم الحضاري من أبعاد متعددة تستهدف في مجملها "استقلال الذات الحضارية". واستعرضت الباحثة المنظور الحضاري عند البشري -الذي يعبر عنه بمنهج النظر- الذي يستهدف حفظ كيان الأمة الجامعة، والأركان التي يقوم على أساسها. ثم تطرقت لأبعاد ودلالات مفهوم الحضاري في الفكر البشري، متمثلة في أبعاد ثلاثة: البعد التراثي - البعد غير الأهمي الخصوصية - البعد المرجعي الشرعي.

وتناولت مروة صبحي أيضاً "الحضاري" في فكر رفيق حبيب، مشيرة إلى بعدين أساسيين يمكن أن تفسر مفهوم الحضاري عند رفيق حبيب؛ أولها البعد القيمي، الذي يميز وفقاً له بين: الحضاري المادي، والحضاري المعنوي، ويمتد لديه إلى تطبيق القيم على أرض الواقع. وثانيهما البعد المقدس المرجعي، الذي يشير إلى الثابت النابع من الاختيار الإيماني والذي يسود بين الشعوب وينتقل من جيل لآخر.

وانتقالاً إلى **مدرسة الفكر العربي المعاصر**، يقدم الباحث **محمد العربي** قراءة في مفهوم الحضاري في فكر أنور عبد الملك؛ من خلال رؤيته للعالم الذي تدور فيه دراسته للواقع وللتاريخ ولقضايا النهضة من ناحية، ووظيفية المفهوم عنده من ناحية أخرى. فوضح أن "الحضاري" في فكر أنور عبد الملك مفهوم يعبر عن التجمع الأشمل والبيئة التي تدور في إطارها تفاعلات العالم. أما وظيفة مفهوم الحضاري في فكر عبد الملك، فقبلور -وفق الباحث- في: الشمولية -

النهضوية، وارتباطهما بالمشروع الحضاري. وأشار الباحث إلى أن "الحضاري" كمفهوم لا يتسم بنفس الوضوح الذي يتسم به كمنظور لدى عبد الملك، فهو لا يقدم مفهومًا محددًا للحضارة والحضاري، وإن كان يصنع من هذا الحضاري منظورًا تحليليًا يتسم بالشمولية لبحث قضية أساسية ومحورية في فكره وهي قضية "التنمية" العربية والمصرية. ومن ناحية أخرى يشير محمد العربي إلى أن المفكر عبد الله العروي يقدم مشروعًا نقديًا للتكوين الحضاري الثقافي العربي، وبالتالي ليس هناك مفهوم معين للحضارة والحضاري في كتاباته، وإن كانت القراءة في فكر العروي والنظر في رؤيته للعالم تكشف عن أن الحضاري عند العروي إنما هو الحدائثي، والحدائثي الغربي على وجه التحديد، وإن وسم بالإنساني. فالحضاري كمفهوم عند العروي - كما يرى الباحث - محدد بالحدائثي، أما كمنظور فإنه محدد بالرؤية الحدائثية للعالم.

وأشار الباحث **محمد الجوهري** إلى أن المفكر المصري السيد يس يدعو إلى تبني مفهوم واسع للحضارة يجمع بين النواحي المادية والجوانب الثقافية والاجتماعية. وأن مفهوم الحضارة عند السيد يس يرتبط بالحضارة السائدة، وهي الحضارة الغربية، باعتبارها النموذج الذي يجب أن تتخذي به المجتمعات الأخرى حتى تنجز تقدمها من خلال مرورها بالمرحل المختلفة التي مرت بها هذه الحضارة. وفي هذا الإطار يتحدث السيد يس عن العلاقة بين الحضارات في ظل تحولات المجتمع العالمي، في محاولة للوصول إلى نموذج حضاري جديد.

وعن مفهوم الحضاري في فكر الدكتور محمد عابد الجابري، قال محمد الجوهري أنه يمكن قراءة عناصره في سياق موقفه من عدد من القضايا المهمة؛ أولها نقده لإشكالية النهضة العربية، فالحضاري لديه مشروع للمستقبل انطلاقًا من الواقع. وثانيها دراسته لإشكالية التراث في الفكر العربي والإسلامي، وكيفية التعامل معه. وأخيرًا موقفه من مقولات صراع الحضارات، حيث قام الدكتور الجابري بتفكيك مقولة صراع الحضارات التي طرحها مفكرون غربيون وتفنيدها الحجج والأسانيد التي اعتمدت عليها باعتبارها مغالطات.

وأخيرًا تأتي **مدرسة العلوم السياسية المصرية من منظور حضاري**؛ حيث يرى الباحث **عبد إبراهيم** أن الحضاري عند الدكتور حامد ربيع وصف عام يميز به الأمم التي لديها مجموعة معينة من القيم. ويؤكد أن العلاقة بين المفهوم والمنظور فيها قدر كبير من التداخل لدى الدكتور ربيع، لأنهما يترتبان على بعضهما البعض، ومن ثم يشير إلى كيفية تحول الحضاري إلى المنظور في فكر وأعمال د. حامد ربيع، وإلى عناصر النموذج/ المنظور الإسلامي كما حددها ربيع، فضلًا عن مستقبله.

وتتناول الباحثة **شيماء بهاء الدين** رؤية د. منى أبو الفضل لمفهوم "الحضاري" وتأسيسها للمنظور الحضاري بناء على تصورهما لهذا المفهوم. وذلك من خلال تناول رؤيتها لمعنى المنهاج والمنهاجية، وعملية تأسيس المنظور الحضاري، ومصادر التنظير الإسلامية (مصادر التأسيس - التراث). ثم تعرض الباحثة أبرز إسهامات د. منى في حقل العلوم السياسية، بدءًا من إسهامها في مجال النظرية السياسية امتد إلى النظرية الاجتماعية ككل، بالإضافة إلى ما قدمته من إضافات في مختلف فروع علم السياسة الأخرى، لا سيما في دراسة النظم السياسية (النظم العربية تحديدًا)، ومجال العلاقات الدولية.

وأخيرًا، تناولت الباحثة **سمية عبد المحسن** مفهوم الحضاري في فكر د. سيف عبد الفتاح، باعتباره مدخلًا لدراسة قضايا الأمة وإشكالاتها دراسة علمية في إطار العلوم الاجتماعية عمومًا، والعلوم السياسية على وجه الخصوص. بدءًا من التعريف بمفهوم "الحضاري" ودلالاته وما يستدعيه من إشكاليات التناول ودواعي التعريف، مرورًا بأبعاد المفهوم (المرجعي - المنهجي - الواقعي الاجتماعي - البعد العالمي الإنساني)، انتقالًا إلى المنظور الحضاري كأداة للمقارنة بين

الأنساق المعرفية المتقابلة من ناحية، وأداة لتحليل الأحداث والظواهر السياسية من ناحية أخرى. وختاماً بتوظيف المفهوم والمنظور الحضاري سواء في المجال البحثي والأكاديمي أو في الواقع.

حصيلة الندوة:

ساهمت التعقيبات على الجلسات من جانب الحضور من الأساتذة والخبراء في إثراء المداخلات الرئيسية في كل محور. وقدمت الدكتورة باكينام الشرقاوي مدير مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات تقريراً ختامياً عن أعمال الندوة يتضمن المحاور التالية:

أولاً- بلورة أبعاد مفهوم الحضاري:

تناولت الندوة مفهوم "الحضاري" على ثلاث مستويات مختلفة: مستوى المجالات؛ حيث تم تناول مفهوم "الحضاري" في التاريخ، والقانون، والعلاقات الدولية، وحوار الثقافات، والعمل الأهلي. ثم مستوى الأجيال؛ فتم التعرض لمفهوم "الحضاري" لدى أربعة أجيال: الأوائل ثم الرواد المعاصرون، ثم جيل الوسط، ثم جيل الشباب، ثم المفكرين. وتمثل المستوى الثالث في تناول الحضاري لدى اتجاهات مختلفة، وقد غلب على الحلقة النقاشية الحديث داخل الدائرة الإسلامية العربية ولكن كانت هناك محاولات لعرض المفهوم لدى مفكرين من حضارات أخرى.

من ناحية أخرى تطرقت الندوة إلى أهمية مفهوم "الحضاري" وتعدد النظرة إليه، فهناك تنوع في النظرة إلى المفهوم ما بين اعتباره مفهوماً غامضاً ويعاني سيولة، أو كونه مفهوماً يتداخل مع غيره من المفاهيم. وإن كانت الندوة قد عكست التنوع الداخلي في المدرسة الحضارية الإسلامية في العلوم الإنسانية، فإنها عكست -من ناحية أخرى- غلبة هذه المدرسة في الحضور وضعف وجود تيارات أخرى تغلب عليها الرؤية النقدية لهذا المنظور، إلا أنه من الجدير بالذكر هنا إلى أننا نسعى لتأسيس حوار علمي بين الجماعات العلمية المختلفة ولكن يبدو أن هذا الأمر يواجه صعوبات وحواجز كثيرة تمنع الآخرين من مجرد الاستماع إلينا.

وقد كثر في البداية ربط المنظور الحضاري بالإسلامي ثم اتضح أن المنظور الحضاري لا يرتبط فقط بالمنظور الإسلامي بل إنه يقوم على فكرة إعلاء الثقافي بالمقارنة بالأبعاد والعوامل الثقافية الأخرى وبالتالي وصولاً إلى ما يشبه الإجماع أنه مفهوم شامل له أبعاد مادية وقيمية في الوقت نفسه.

كما حدث تداخل مع الثقافي والديني والإنساني والتاريخي والتراثي الفردي والجماعي، وحدث اشتباك مع الموقف من الحضارات الأخرى؛ هل هو محاولة لمقاربة الآخر أم محاولة لإبراز تميز الحضارة الإسلامية؟ وقد يكون مصدر هذا التداخل هو الخلط بين الحضارة والحضاري، فقد تحدث البعض عن مفهوم الحضاري من خلال الحديث عن الحضارة فتحدث

عن خصائص الحضارة الإسلامية، ومن ثم يجب أن يكون هناك تمييز بين الحضارة ومفهوم الحضاري.

ويمكن إجمال عناصر مفهوم الحضاري فيما يلي:

- إن من أهم ما أجمعت عليه عمليات القراءة السابقة في فكر الأعلام حول مفهوم الحضاري أن كلاً منهم يرى أن الحضاري وصف يلحق بالأمم ذات المنظومات القيمة الكبرى (استندت أو لم تستند للدين).
- التراث جزء مهم من المكون الحضاري لأي أمة، ومن ثم يجب عدم الإقلال من قدر التراث أو الموروث في مقابل تحدي الوافد.
- كما تحتاج الحضارة لإمكانات مادية، فإن المكون المعنوي فيها (الإرادة بتعبير مالك بن نبي، أو النموذج الفكري بتعبير د. حامد ربيع) هو محرك الانطلاقة والبعث الحضاري لها.
- إن الدين يمثل أحد البنى التحتية للحضاري.
- المنظور الحضاري ليس إسلامياً فقط.
- المنظور الحضاري يحمل معنى الجامعة وشمول الأبعاد.
- إن تأسيس المنظور الحضاري لا بد له من جهود ذاتية: منهجية لتأسيسه وتأصيله، وتطبيقية لاختباره واستكمال بنائه، وتفعيلية لتجديده وتطويره.
- المنظور الحضاري نسق مفتوح يستلزم إسهام كافة التخصصات والأجيال والتوجهات.
- إن قراءة "الحضاري" في فكر الآخر لا بد له من وعي وتمييز المستوى المضموني للاستفادة منه، عن المستوى الإبيستمولوجي الذي لا يجب نقله.
- لا بد لكل حضارة من مشروع حضاري، وإن كان لا يُفعل عند بعض الحضارات في بعض مراحلها التاريخية.
- الحضاري لا بد أن يتجاوز الثنائيات الحادة (القيمي - الواقعي، السياسي - الاجتماعي، الداخلي - الخارجي، الجزئي - الكلي، المادي - المعنوي، المجتمع - الدولة، الرسمي - غير الرسمي).

ثانياً- احتياجات وإشكاليات كشف الغموض عن مفهوم الحضاري:

أثارت الندوة عددا من التحديات تحتاج إلى مزيد من الجهد من أجل التغلب عليها وتعبير عن حلقات ضعف في استخدام هذا المنظور، سواءً في مرحلة التأسيس للمفهوم وأبعاده أو في مرحلة التطبيق والتراكم العلمي داخل الجماعة العلمية الواحدة وفي تواصلها مع الجماعات العلمية الأخرى في الوطن العربي والعالم الإسلامي وأيضاً في الجماعات الأخرى الغربية أو غير الإسلامية والعربية.

من الإشكاليات المثارة أيضاً العلاقة بين المثالي والواقعي؛ حيث يوجه كثيراً للحضاري تهمة أنه مثالي وأنه يتحدث عن ما يجب أن يكون. وهناك أيضاً تحدي التعامل مع الأنساق المعرفية الأخرى من منطلق النقد والمقارنة وأن ذلك لا ينفي إمكانية حدوث تكامل بينها.

وتجدر الإشارة -في هذا الإطار- إلى:

- تجنب التعميم الزائد، وعدم قصر المفهوم على الإسلامي.

- ضرورة نهوض كل تخصص بكشف الغموض في المفهوم داخل هذا التخصص.
- في استجلاء مفهوم الحضاري في إطار محدد (الإسلامي على سبيل المثال) من الواجب عدم تبني رؤية مضادة للحضارات الأخرى.
- تحديد جوانب التداخل مع مفاهيم أخرى مثل الثقافي والديني والإنساني والتاريخي.
- إن استجلاء المفهوم عند مفكر محدد يحتاج إلى بعد المقارنة مع مفكرين آخرين (طرحوا نفس الفكرة أو النقيض لها) لا سيما إذا كانوا من دائرة حضارية أوسع (إسلامي مع غربي..)، أو مراعاة "السند الحضاري" بين المفكر والآخر.
- شمول المفهوم وكمياته يعني تعدد المستويات (فرد - جماعة - دولة - أمة)، كما يعني الجمع بين الأبعاد المادية والقيمية... إلخ.
- وأخيراً، ضرورة الخروج من هذه الإشكاليات بآليات لاستجلاء هذا الغموض، وأهمها ربطه بقضايا كبرى للمجتمع والأمة والعالم.

ثالثاً- مقترحات لتطوير الوعي والفهم والتناول لمفهوم الحضاري والمنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية والسياسية، وأهمها المنظومة الثمانية التي قدمها أ.د. سيف الدين عبد الفتاح، التي يمكن تنفيذها وتفعيلها عبر مشروع بحثي جماعي حول مفهوم الحضاري على غرار مشروع التأصيل النظري للدراسات الحضارية.

وتتمثل ثمانية دراسة الحضاري حسب طرح د. سيف فيما يلي:

- 1- الخرائط الفكرية لتناول الحضاري.
- 2- ربط موضوع ومفهوم الحضاري بالقضايا الثقافية الكبرى وجعله مدخلاً لها.
- 3- البحث في إشكاليات مفهوم الحضاري وغموضه.
- 4- دراسة الخطاب الحضاري في مختلف المستويات (أكاديمي - إعلامي - سياسي).
- 5- أهمية إنشاء جماعة علمية:
- جماعة أفقية: في تخصصات مختلفة.
- جماعة رأسية: عبر الأجيال.
- 6- مدخل القراءات الحضارية.
- 7- تسجيل الخبرة الحضارية: كلٌّ في مجال تخصصه.
- 8- تسجيل الخرائط الفكرية داخل الحضارة والفكر والثقافة الغربية.

كما جاءت مجموعة من التعقيبات حول ضرورة قراءة التنظير الغربي بشأن "الحضاري" بعناية وحرص والتفريق بين منهجية هذا التنظير ومضمونه. وفيما يتعلق بتناول "الحضاري" لدى عدد من النماذج الفكرية، جاءت تعقيبات بعض الأساتذة الحاضرين لتركز حول عدة نقاط منها:

- ضرورة تقييم التاريخ عند عدد من المفكرين مثل عابد الجابري، وكذلك استيضاح حجم التاريخ ومكانته في الفكر الحضاري الغربي.
- ضرورة تقييم المفكرين بصورة تتناسب وحجم أعمالهم ومضمونها الحقيقي.

- ضرورة إثارة التساؤلات حول فكر المفكرين في إطار الدوائر الأوسع، وكذلك الخروج إلى دوائر أخرى غير تلك التي شملت العلماء المعروض إسهامهم الحضاري.

ماذا بعد الندوة؟

إذن، وبناء على ما كشفت عنه أعمال الندوة، فإن المنظور الحضاري يمثل استجابة نقدية للسائد في العلم الاجتماعي الغربي تحت وطأة المنظور الواقعي العقلاني المادي، وأيضاً هو المنظور الذي يتحدى الأسس المعرفية والمنهجية والتكنولوجية للمنظور السائد تحت وطأة العلمانية والحداثة. إنه المنظور الذي يُرد الاعتبار للهوية والثقافة والدين والقيم في العلوم الاجتماعية الحديثة، وهو الذي يتحدى التقسيمات التقليدية لهذه العلوم إلى جزر منفصلة؛ حيث يدعو إلى البينية وتعددية المداخل العلمية. إنه المنظور الذي يتحدى "عالمية العلم الغربي" والمركزية الأوروبية - الغربية، على اعتبار أن مشاركة الدوائر الحضارية الأخرى غير الغربية شرط لتحقيق "العالمية المفقودة".

إن المنظور الحضاري يبدن "تحول منظوري في العلم الاجتماعي" Paradigm shift، إنه لا يتحقق بطفرة ولن يسود فجأة⁽⁵⁾. ولكنه يقطع خطوات دؤوبة في الغرب تحت مسمى "المدرسة النقدية بروافدها"⁽⁶⁾، كما قطع خطوات دؤوبة في الشرق، سواء من جانب إسهام مدرسة المنظور الحضاري الإسلامي (من مرجعية إسلامية)⁽⁷⁾ أو مدارس حضارية غير غربية وغير إسلامية⁽⁸⁾. وعلى هذا النحو فإنه يجد له تجليات على مستوى علوم اجتماعية عدة، سواء

⁽⁵⁾ لرصد هذا التطور، انظر عدد من الكتب الصادرة عن أعمال قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة:

- د. سيف الدين عبد الفتاح، د. حسن نافعة (إشراف وتحرير)، **العولمة والعلوم السياسية**، (سلسلة محاضرات الموسم الثقافي (1)، العام الجامعي 1998-1999)، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد، 2000.
- د.نادية محمود مصطفى (إشراف وتحرير)، **علم السياسة: مراجعات نظرية ومنهجية**، (سلسلة محاضرات الموسم الثقافي (4)-5)، العام الجامعي 2001/2003)، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد، 2004.
- د.نادية مصطفى (إشراف علمي وتقديم)، أميرة أبو سمرة (مراجعة وتحرير)، **مداخل التحليل الثقافي لدراسة الظواهر السياسية والاجتماعية: المنطلقات والمجالات والمفاهيم في العلوم الاجتماعية والسياسية** (أعمال سمينار قسم العلوم السياسية 2008-2010)، جامعة القاهرة: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، 2011.
- د.إكرام بدر الدين (تقديم)، د.نادية مصطفى (إشراف علمي)، د.أميمة عيود (تحرير)، **المنظور البيني والعلاقات البينية في علم السياسة: إعادة نظر وقراءة جديدة** (أعمال سمينار قسم العلوم السياسية للعام الجامعي 2010-2011)، جامعة القاهرة: قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2012.
- ⁽⁶⁾ انظر في ذلك: أميرة أبو سمرة، **مفهوم العالمية في العلاقات الدولية: دراسة مقارنة في إسهامات نظرية نقدية**، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية: قسم العلوم السياسية، 2014.
- ⁽⁷⁾ انظر: د.نادية محمود مصطفى: **العلاقات الدولية في الإسلام: من خبرة جماعة علمية إلى معالم منظور حضاري جديد**، مرجع سابق.

⁽⁸⁾ انظر على سبيل المثال:

- Sampson, W. Martin, Culture influences on foreign policy (in): Charles F. Hermann, Charles W. Kegley, James N. Roseneau (eds.): **New Directions in the study of foreign policy**, Boston: Allen and Unwin, 1987.
- Zalewski, Marysia, Cynthia Enloe, Questions about identity on international relations (in): K. Booth, S. Smith (eds.), **International relations theory today**, Pennsylvania State University press, 1995.

بشكل مباشر أو غير مباشر. ولقد كانت هذه الندوة التي ضمت أساتذة وخبراء من تخصصات متنوعة مؤشراً ذي دلالة، وإن اختلفت مدارس كل منهم المعرفية والفكرية إلا أنه تبلور قدر من التوافق على ضرورة وجود أسلوب جديد للنظر تفرضه تحديات عديدة على العلم وعلى الحركة.

يواجه المنظور الحضاري -وفق هذا المفهوم الإجرائي السابق طرحه، وبالتركيز خاصة على الحضاري الإسلامي الذي تقوم عليه الجهة المنظمة للندوة- تحديات عديدة تتعلق بالجانب النظري والحركي وهي تحديات متشابكة في مداها ومجالها، تستلزم مواصلة العمل ومضاعفة الجهود وتنوع المداخل وتعدد الوسائل؛ حيث إنه لا يمثل منظورا سائدا قادرا على التأثير في الحركة من أجل التغيير.

ففي الجانب النظري، بذل هذا المنظور جهوداً متراكمة في إعادة تعريف مفاهيم أساسية: "السياسة، القوة، الحضارة..." ويبقى استكمال تفعيل هذه المفاهيم الجديدة لاستكمال توليد أدوات مبدعة في البحث والدراسة لتطبيق تعريفاته الجديدة في تناوله لعديد من المجالات والقضايا والموضوعات. نعم بذل جهد في ذلك من الرواد، على سبيل المثال في إطار مدخل الأنماط التاريخية ومدخل المنظورات الحضارية المقارنة لنظرية العلاقات الدولية، ومدخل الأبعاد الفكرية والفلسفية للعلاقات الدولية عند د. نادية مصطفى، ومدخل المقاصد ومدخل السنن عند د. سيف الدين عبد الفتاح، لكن الأجيال الجديدة في أحسن الأحوال ما زالت عبء على هذه الجهود، وعليها أن تبذل أدوات جديدة بعد أن تستوعب جهود الرواد.

يضاف إلى ذلك، الانفتاح على مناطق فكرية جديدة تتعلق بالتاريخ والاجتماع والتربية والفلسفة ليتسع نطاق تفاعله مع منجزات تيارات فكرية في الشرق والغرب: في تركيا وإيران والهند والصين واليابان وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية⁽⁹⁾، ناهيك عن الغرب التقليدي.

-
- Hatzopoulos, Paylos, Fabio Petito (eds.), **Religion in international relations: The Return from Exile**, Palgrave/ Macmilan England, 2003.
 - Giorgio Shani, **'Provincializing' critical theory: Islam, Sikhism and international relations theory**, Cambridge Review of International Affairs, Volume 20, Issue 3, 2007.
 - Gregorio Bettiza, **Civilizational Analysis in International Relations: Mapping the Field and Advancing a 'Civilizational Politics: Line of Research**, *International Studies Review*, (2014).
 - Fabio Petito, **Dialogue of Civilization as an Alternative Model for World Order**, <http://www.e-ir.info>

⁹ انظر على سبيل المثال:

- أحمد داود أوغلو، الفلسفة السياسية، ترجمة: إبراهيم البيومي، تقديم: محمد عمارة، سلسلة هذا هو الإسلام (6)، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006.
- أحمد داود أوغلو، **العالم الإسلامي في مهب التحولات الحضارية**، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2006، ط1، تعريب وتحرير ومراجعة (إبراهيم البيومي غانم).
- Sohail Inayatullah, **Alternative Futures for the Islamic Ummah**, at: <http://www.metafuture.org/Articles/AltFuturesUmmah.htm>
- Mustapha Kamal Pasha, **Islam as International Relations**, Paper Presented at the 45th Annual Meeting of the International Studies Association, Canada: Montreal, 2006.

وهو ما يتطلب العمل بجد لإعداد أجيال من الباحثين تولي هذه المناطق اهتمامًا، وتجيد لغاتها لتمكين من الاطلاع على المنجز البحثي والفكري لهذه الأمم في مجال العلوم الاجتماعية من منظورات حضارية (غير عربية)، لا أن يتم النظر إليها من نافذة الغرب عبر لغاته، فمهما كانت جودة الترجمة عن طريق لغة وسيطة كالإنجليزية أو الفرنسية إلا أن ذلك لا يقترب من فعالية وقراءة الاطلاع المباشر.

لا يعني هذا إهمال الإسهامات الأصلية لمفكري الغرب، لكن ينبغي تجاوز الأسماء الشهيرة المتداولة إلى تيارات نقدية قديمة وحديثة؛ من أمثلتها مدرسة فرانكفورت في الفلسفة ومدرسة شيكاغو في علم الاجتماع، ومدارس نقد فلسفة رأسمالية السوق والهيمنة الثقافية ودراسات ما بعد الاستعمار التي بذلت فيها الماركسية الجديدة ممثلة في جرامشي وألتوسير وغيرهما⁽¹⁰⁾. والالتحام بهذه المدارس وتنظيم الجدل المعرفي معها ضروري لدفع عملية التغيير العالمي المطلوبة بمشاركة دوائر حضارية متنوعة.

وعلى الجانب الحركي من خلال التفعيل والتشغيل، ثمة أمور ذات أهمية كبيرة. فالساحة تزدهم بتيارات وحركات وجماعات وأحزاب تستخدم "الحضاري" بدون ضبط وأحيانًا بدون فهم لتسم برامجها بأنها "حضارية"؛ مما يدخل المنظور في ساحة السياسة الصراعية وهو المفهوم الذي تجاوزته، وكأنهم يشدون هذا المنظور للخلف ويستخدمونه كذخيرة وسلاح فكري في معاركهم السياسية التي لا تنتهي. وهو ما سيجلب على هذا المنظور انتقادات في غير موضعها، الأمر الذي سيستنفذ جزء كبيرًا من طاقته في الدفاع، وهي مهمة لازمة لكن ليست أساسية، فمهمته الأساسية هي الإبداع والبناء.

"الحضاري" ليس ملكًا لتيار أو حركة ولكنه توجه معرفي، يستعصي على الامتلاك والاستحواذ والاحتكار. إنه تيار متدفق يتسع لإسهامات روافد عديدة، بشرط التخلي عن عقلية الاستظهار والنقول والترقيع ومحاولات الالتحاق النفعي. فالمنظور الحضاري يعني "الكلية في التفكير والنظر والتحليل، واستنادًا إلى القيم".

الأكثر خطورة أن المنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية فكر وحركة أصبح بعد الثورات العربية التي شهدت صعودًا إسلاميًا مطمئنًا لفلول الفكر والبحث التي سبق -تحت حجة العلمية- أن تمسكت بعلمانية العلوم الاجتماعية، واستبدت ضد مدرسة المنظور الحضاري الإسلامي، كما استبد الحكام بالحركات والقوى الإسلامية. وفي أحسن الحالات، لم يكن كف الهجوم يعني القبول أو الاستعداد للتفاعل، ولكن يعني الإهمال أو على الأقل الاعتراف بصعوبة المسار الذي استطاع أن ينتزع شرعية العلمية بعد أن حقق تراكمًا عبر ما يزيد عن العقود الأربعة.

وقد أخذت هذه الفلول تدعي وصلاً بهذا المنظور وهو منها براء، هذا الوصل المنتحل يستهدف البقاء على الساحة الفكرية والبحثية ثم تصدر المشهد الجديد التي بدأت الثورات العربية في غرس ملامحها استنادًا إلى مناصب في المجتمع البحثي من خلال لجان الترقية الأكاديمية والتحكم في حركة النشر والترجمة.

وازداد التحدي وضوحًا في إطار صعود الثورة المضادة؛ حيث عاد الهجوم -بل والإدانة- للحركة الإسلامية سواء الفكرية أو المجتمعية أو السياسية. بل يتم تشويه مفاهيم إسلامية ثابتة ومستقرة (مثل: الأمة، الخلافة، الجهاد...) لتوظيفها في لعبة صراع سياسي ممتد.

الأمر الذي يستوجب من بناء المنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية أولًا جهدًا مضاعفًا لنشره وحمائته من المزايدات الأيديولوجية للمتحولين الجدد والاستغلال من توجهات سياسية وفكرية تحاول تصدر المشهد وقد تحقق لها

¹⁰ انظر: أميرة أبو سمرة، مفهوم العالمية في العلاقات الدولية: دراسة مقارنة في إسهامات نظرية نقدية، مرجع سابق.

بعض النجاح الذي يغري هذين الطرفين باستغلال "الحضاري"، خاصةً وأن منجزات هذا المشروع العلمي الفكري للمنظور الحضاري متزامية ولا تحظى بتسويق جيد من مؤسسات علمية متعددة.

وقد آن الأوان من ناحية ثانية لتأسيس دورية فصلية محكمة تُعنى بنشر إسهامات الرواد والباحثين الجدد في المنظور الحضاري. بالإضافة إلى ترجمة بعض الأعمال الأساسية للرواد إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية والفارسية. وترجمة الإسهامات العالمية من لغات تعاني الندرة في الترجمة كالأسبانية. وهذه الترجمة في الاتجاهين تستهدف الاطلاع الجاد والشغوف على منجزات شبيهة تشترك مع منظورنا الحضاري في توجهه النقدي البنائي الراض لهيمنة النموذج العلماني المادي الوضعي.

ومن ناحية ثالثة، تنبغي مواصلة المشاريع البحثية المشتركة بين التخصصات المختلفة التي تتناول قضايا أساسية تواجه مجتمعاتنا كالعلاقة بين الدولة والمجتمع وكيف يشكل كل منهما الآخر، والحكم الرشيد، وإمداد منظمات ومؤسسات الأمة بزد فكري موجه ومرشد للحركة.

ومن بين هذه القضايا أيضًا تكوين الأحزاب وإدارتها في مجتمعات تم فيها استيراد الهياكل التنظيمية لهذه المؤسسات من الغرب تحديدًا دون الوعي بالخلفيات الفكرية الكامنة وراء تأسيسها وفعاليتها في تلك المجتمعات التي تختلف عن مجتمعاتنا وإن كانت هناك أمور مشتركة معها. لذا ينبغي التمييز بين المؤتلف والمختلف، وقديمًا قيل أن العلم هو التمييز بين الدقيق من الأمور.

ومن ناحية رابعة: وفي مجال نشر المنظور الحضاري، فينبغي الاستمرار في العمل على تضمين المقررات الدراسية في العلوم الاجتماعية في المرحلة الجامعية الأولى والدراسات العليا إسهامات المنظور في إطار مقارن مع غيره من المنظورات. مع تشجيع من لديه الرغبة والقدرة من طلاب الدراسات العليا على إعداد رسائل الماجستير والدكتوراه في مجالات تقع ضمن اهتمامات المنظور تستثمر الجهود السابقة وترتاد مجالات متنوعة ومناطق بكر تستلزمها تطورات مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

ومن ناحية خامسة: وبالنسبة للمثقف العام لا بد من تبسيط مخرجات ومنتجات المنظور في مقالات بالصحف والمجلات، وفي كتب غير متخصصة تتميز باللغة الواضحة المتخففة قليلًا من متطلبات النشر الأكاديمي الصارمة ليسهل الفهم والاستيعاب.

ومن المستحسن أن تفرد مساحات على وسائل التواصل الاجتماعي الجديدة على الانترنت: "الفييس بوك، تويتر" لنشر المنظور، بشكل لا يخل برصانته ولا يصعب على طبيعة هذه الوسائل تحمله أو على مستخدميها التفاعل معه؛ من خلال جمل قصيرة موجزة توضح لب المنظور وإمكانياته وتفعيله عبر التواصل مع الشباب المتحفز لاستيعاب نظرة جديدة للواقع والعمل في المجالات المدنية والاجتماعية عبر حفز مبادراتهم ورفدها بظهير فكري داعم.

وختامًا، الحضارة هي فن عمارة الأسئلة وإجاباتها، وقد حان الوقت لأسئلة الغرس، لا أسئلة القنص العليل التي عطلت مسيرة أمتنا أكثر من قرنين، تكرر نفسها ولا تبرح مكانها. الأولى بنائية نقدية متراكمة تتولد من مشكلات أمتنا تستهدف المدى الطويل والقصير، تغزل بتؤدة وجد وتمكن إجابات وبدائل أصلية منفتحة مبدعة. أما أسئلة القنص فمستوردة مقلدة تلتصص على نتاج الآخرين دون وعي، وليتها تحسن فهمه وتتابع تطوره، بل هي تسعى لترجمته ابتداءً، وتغرقنا في جدل بيزنطي عقيم، وهي تستهدف مشاكل مجتمعات أخرى وتستنسخ نفس الإجابات المستوردة في المعرفة والفكر والبحث والسلوك.

أسئلة المنظور الحضاري في العلوم الاجتماعية معنية بالمستقبل غير منقطعة عن تاريخنا وذاكرتنا، تساءل الواقع ولا تهرب منه، تستفزه لتثوره، ولا تحبطه ولا تسخر منه. لا تقبع في جب التقليد ولا التغيي بالماضي المجيد. تتطلع إلى أفق الإنسانية ، وتقتطف منه المشترك الإنساني وكل ما هو صحيح وصالح بميزان الحكمة. فلا استغناء أو استعلاء، ولا استصغار للذات ولا ولع بتقليد الغالب.

المهمة صعبة.. تحتاج إلى إخلاص ووعي وسعي، وتضافر الجهود والعمل الجماعي الذي يحتضن الإبداع الفردي ويغزله في نسيج جهود أصلية من أجل حضارتنا، التي هي في التحليل الأخير حضور فاعل على الأرض تحقيقًا لعمرانها، واستحقاقًا للاستخلاف عليها من المولى عز وجل الذي خلق الموت والحياة ليبولونا أننا أحسن عمالًا.

وهكذا تعددت وتكاملت تخصصات وتوجهات ومداخل المساهمين في هذا العمل الجماعي الذي بلور فكرته ونظم محاوره الأستاذة الدكتورة نادية مصطفى والأستاذ الدكتور سيف الدين عبد الفتاح. ولا يسعنا إلا شكر كبار الباحثين وشبابهم الذين شاركوا فيه. كما نشكر من قام على الجانب الإداري والتنظيمي للندوة وعلى إعداد أعمالها للنشر في هذا الكتاب من العاملين في مركز الحضارة للدراسات السياسية ومركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة.

والحمد لله

ديسمبر 2014

مركز الحضارة للدراسات السياسية